أي مرابنة من أين لك هذا الولد لأن هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا أربعة
أقوال **أحدها** أنه رجل صالح من بني اسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح
والمراد أنك كنت في الزهد كهارون فكيف صرت هكذا وروي أن هرون هذا
لما مات تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل تبركا باسمه
سوى سائر الناس شبهوها به على معنى أنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس
المراد منه الأخوة في النسب كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وروى المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقال إنكم تقرؤون
يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم
والصالحين قبلهم قال ابن كثير وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت
موسى وهرون نسبا فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده
أدنى علم وكأن غره في أول التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت
بالدف يوم نجى الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وجنوده
فاعتقد أن هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث
الصحيح المتقدم **الثاني** أنه هرون أخو موسى لأنها كانت من نسله
كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللهمداني يا أخا همدان أي يا واحدا منهم
الثالث أنه كان فاسقا في بني اسرائيل فنسبت إليه أي شبهوها به
الرابع أنه كان لها أخ يسمى هرون من صلحاء بني اسرائيل فعيرت به قال
الرازي وهذا هو الأقرب لوجهين **الأول** أن الأصل في الكلام الحقيقة
فيحمل الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني أنها أضيفت إليه ووصف
أبويها بالصلاح فحينئذ يكون التوبيخ أشد لأن كانت حال أبويه وأخيه هذا
الحال يكون صدور الذنب منه أفحش **فأشارت إليه** أي لما بالغوا في توبيخها
سكتت وأشارت إلى عيسى عليه السلام أنه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود
لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها وعن السدي لما
أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد من زناها أشد من
زناها ثم **قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا** لم يبلغ سن هذا الكلام
الذي لا يقوله إلا الأكابر العقلاء بل التعبير بالأنبياء والتعبير بكان يدل على
أنه عند الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يتكلموا بل حين سمع المحاورة
ورأى الإشارة بدأ منه بقول خارق لعادة الرضعاء بل الصبيان روي
أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ
على يساره وأشار بسبابته بيمينه وقيل كلمهم ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغا يتكلم فيه الصبيان تنبيه في كان هذه أقوال أحدها
أنها زائدة وهو قول أبي عبيدة أي كيف نكلم من كان في المهد صبيا

على هذا

على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صفة ثانيها
أنها تامة بمعنى حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من كان صبيا وصبيا
حال من الضمير في كان قال الرازي وهذا هو الأقرب الثالث أنها بمعنى صار أي كيف
نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها فإن قيل كيف عرفت مريم
من حال عيسى أنه يتكلم أجيب بأن جبريل أو عيسى عليه السلام لما
ناداها من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار
ذلك كالتنبيه لها على أن المجيب هو عيسى عليه السلام أو لعلها عرفت
ذلك بالوحي إلى زكريا أو إليها على سبيل الكرامة واختلفوا في المهد فقيل
هو حجرها لما روي أنها أخذته عليه السلام في خرقة فأتت به قومها فلما رأوها
قالوا لها ما قالوا فأشارت إليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل يعد حتى يعد
لها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم صبيا سبيله أن ينام في
المهد وقال وهب أتى زكريا مريم عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق
بحجتك إن كنت أمرت بها فوصف نفسه بثمان صفات **الصفة الأولى**
قال إني عبد الله أي الملك الأعظم الذي له صفات الكمال لا أتعبد لغيره
وفي ذلك إشارة إلى أن عبد الله لا يتخذ إلها من دونه ولا يستعبده شيطان
ولا هوى **الصفة الثانية** قوله تعالى **آتاني الكتاب** واختلف في ذلك
الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لأن الألف واللام في الكتاب تنصرف للمعهود
والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم هو الإنجيل لأن الألف واللام
هنا للجنس وقال قوم التوراة والإنجيل لأن الألف واللام تفيد الاستغراق
واقتصر البيضاوي على الأول والبقاعي وزاد عليه والزبور وغيرها من الصحف
الصفة الثالثة قوله **وجعلني نبيا** واختلف في معنى ذلك فقيل
معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا وأتى بلفظ الماضي لجعل المحقق وقوعه
كالواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقيل هو إخبار عما كتب في اللوح
المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم
بين الروح والجسد وقال الأكثرون أوتي الإنجيل وهو صغير طفل وكان
يعقل عقل الكامل الرجال وقال الحسن ألهم التوراة وهو في بطن أمه
الصفة الرابعة قوله **وجعلني مباركا** بأنواع البركات **أينما** أي
في أي مكان **كنت** وذكروا في تفسير المبارك وجوها أن البركة في اللغة
هي الثبات وأصله من بروك البعير ومعناه وجعلني ثابتا على دين الحق فإن
ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال سلمت أم عيسى عيسى إلى الكتاب وقالت للمعلم أدفعه إليك على أن لا
تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء أكتب فقال اكتب أبجد فقال
لا أكتب شيئا لا أدري فقال أي عيسى للمعلم إن لم تعلم نفعل ما هو

Copyright King Saud University